

الجزولي والجزولية من خلال بعض الكتابات الفرنسية

مصطفى بن عمر المسلوئي

كلية الآداب والعلوم الانسانية

جامعة ابن زهر - أكادير

المقدمة

لقي التصوف المغربي اهتماما كبيرا من قبل الدارسين العرب والمسلمين والغربيين على حد سواء، إذ كتبت حوله العديد من الدراسات المتميزة، والتي شملت أصول نشأته ومسارات انتشاره ودور الزوايا والطوائف وعلاقتها بالمخزن المغربي وأدوارها الدينية العلمية والتربوية والاقتصادية والسياسية. كما ترجمت للعديد من الصلحاء وأقطاب التصوف واهتمت بسيرهم وتطور تعاليمهم في المغرب وخارجه.

ومن أبرز رجالات التصوف الذين اهتمت بهم هذه الدراسات إلى جانب مولاي عبد السلام بن مشيش وأبي الحسن الشاذلي، يأتي سيدي امحمد بن سليمان الجزولي السملالي السوسي المتوفي سنة 870 هـ.

وفي بحثنا هذا سنقتصر على بعض الدراسات الفرنسية حوله، وهي تمتد زمنيا ما بين أواخر القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين.

وكيفما كانت الأهداف والغايات التي كتبت بها هذه الدراسات فهي تعطينا فكرة واضحة حول الاهتمام الفرنسي بالتصوف المغربي عامة، وبالجزولي والجزولية الشاذلية، هذه الطريقة التي كانت الحركة الغالبة على أهل المغرب حتى كادت تكون الطريقة الرسمية للبلاد.

ونقترح تقسيم هذه الدراسة إلى المباحث التالية:

الأول: نظرة حول أهم الدراسات الفرنسية عن التصوف المغربي،

الثاني: لمحة عن أهم الدراسات الفرنسية حول الجزولي والجزولية،

الثالث: ملاحظات حول الدراسات الفرنسية عن الجزولي والجزولية،

ويكون مسك الختام بخاتمة نضمنها أهم الخلاصات والاستنتاجات.

المبحث الأول: الدراسات الفرنسية للتصوف المغربي عامة

أبدى الباحثون الفرنسيون اهتماما كبيرا بالمغرب منذ احتلال الجارة الجزائر سنة 1830م حيث تشكلت العديد من الفرق من أجل اكتشافه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا كخطوة أولى من أجل احتلاله وضمه إلى المستعمرات الفرنسية الأخرى في شمال إفريقيا.

ولا يخفى أن الذي فتح شهيتهم للبحث في المغرب هو غناه الثقافي والعلمي والاجتماعي وإمكاناته المادية المتنوعة، بالإضافة إلى وجود تنافس حاد مع قوى استعمارية أخرى تحاول بدورها التغلغل فيه وبسط نفوذها الاقتصادي والثقافي، وهذا ما جعل فرنسا تستحث الخطى وتكتف من جهودها لتتمكن من احتلاله في أسرع وقت ممكن.

وهكذا انطلقت بالفعل أواخر القرن التاسع عشر البحوث والدراسات المنظمة والمتعلقة بالمغرب وكان هدفها الاستعلام عن البلد جغرافيا واجتماعيا وجمع كل الوثائق والمعطيات المتعلقة بتاريخه وعاداته ومؤسساته الدينية والاجتماعية والسياسية.

ومن أبرز المؤسسات الدينية التي اهتم بها البحث الكولونيالي، نذكر الطرق الصوفية والزوايا التي اعتمدت عليها الإدارة الاستعمارية في سياسة التغلغل السلمي، لذلك وجدنا كثيرا من منظري الاستعمار الفرنسي في المغرب يشيرون إلى وسائل التأثير الفرنسي بالمغرب قبل احتلاله عسكريا ويلحون على ضرورة استغلال

الطوائف الدينية، نظرا لتأثيرها الكبير في المجتمع المغربي بخلاف ما يوجد عليه الأمر في الجزائر¹.

وقد ترسخ اهتمام الباحثين الفرنسيين أكثر من السابق عند تأسيس البعثة العلمية رسميا سنة 1904 من خلال الدراسات التي نشرها كل من ألفريد لوشاتيليه Alfred Lechtalier² وجورج سالمون³ Georges Salmon وميشو بلير⁴ Michaux .Belaire.

والدراسات الفرنسية للتصوف المغربي كثيرة ومتنوعة تشمل نشر كتب المناقب والتصوف المغربية حسب العصور والجهات وكتابة بحوث ومقالات موسعة حول أبرز الزوايا والطوائف الصوفية والصلحاء بالمغرب. وفيما يلي عرض لبعض هذه الدراسات:

¹ - Des moyens de développer l'influence française au Maroc: E.Doutté p 46 imprimerie F.levé.Paris: 1900

وقد ذكر إدموند دوتي في هذا التقرير العديد من وسائل إنماء التأثير الفرنسي بالمغرب بعد احتلال الجزائر ومنها تشجيع الهجرة والاستثمار الفرنسيين في جميع المجالات واستغلال بعض الجزائريين وبعض اليهود المغاربة واستعراض القوة العسكرية من حين لآخر.

² - ألفريد لوشاتيليه (1855-1929) أستاذ علم الاجتماع بالكوليج دو فرانس، كان ضابطا للشؤون الأهلية في ورغلة بالجزائر. وهو الذي أنشأ البعثة العلمية بطنجة في المغرب، أصدر مع ماسنيون مجلة العالم الإسلامي الشهيرة (راجع: ألفريد لوشاتيليه ومسيرة حياته الإفريقية بقلم جون لوشاتيلي ومقال الدراسات الإسلامية في فرنسا خلال القرن 19 بقلم كليمان هوار في المجلة الاسيوية 1922 والمستشرقون للعقيقي 227/1).

³ - جورج سالمون (ت غشت 1906م) تخرج من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، ودرس في المعهد الفرنسي بالقاهرة، كما كلف بعد ذلك بالبعثة العلمية بطنجة من آثاره ترجمة الجزء الثاني من كتاب نشر المثاني بمساعدة بلير ومنتخبات من رسائل المعري وأشعاره، توجد ترجمته بقلم شاسينا في نشره معهد الدراسات العربية والمستشرقون للعقيقي 197/1.

⁴ - ميشو بلير: من الباحثين المتخصصين في الدراسات المغربية، تولى رئاسة البعثة العلمية بعد وفاة جورج سالمون 1906 م، قيل بأنه أسلم وتزوج مغربية وتزيا بزي المغاربة وتحدث بلغتهم، له العديد من الكتب والدراسات المتنوعة المستشرقون 220/1.

1. نشر الكتابات المغربية حول التصوف ومناقب الصالحاء

ومن أبرزها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي (617هـ/1220م) حيث اشتغل بنشره أدولف فور A.Faure¹ اعتمادا على ثمان نسخ خطية² وقد ذكر بأنه عانى في إخراجه معاناة شديدة³ وله كذلك تعليقات على الكتاب ضمنها في مقال تحت عنوان: القيمة التوثيقية لكتاب التشوف⁴.

وترجم كولان: G.S colin⁵ كتاب المقصد الشريف و المنزرع اللطيف في التعريف بصالحاء الريف لعبد الحق البادسي (كان على قيد الحياة 722هـ) مع مقدمة وبعض الحواشي المفيدة في 254 صفحة⁶. كما قام جورج سالمون بمساعدة ميشو بلير بترجمة كتاب نشر المثنائي للقادري⁷ وقام م. كرول M.Graulle⁸ بترجمة عدة كتب منها جامع أصول الأولياء.

وممتع الإسماع في ذكر الجزولي والتابع وما لهما من الأتباع ودوحة الناشر لابن عسكر⁹، وكتب ابن شنب مقالا حول مخطوطتين تتعلقان بشرفاء زاوية تامصلوحت في المجلة الإفريقية¹⁰، وترجمة جوستينار Judtinard لرحلة المرابط

1- أدولف فور: من أساتذة معهد الآداب العربية في تونس من آثاره إلى جانب نشر كتاب التشوف مقالات حول ابن المؤقت المصلح المغربي في هسبريس 1952 و مقال عن تطور الجالية الأوربية في مكناس في المجلة الجغرافية المغربية 1964 راجع المستشرقون 349/1.

2- Adolf. faure: Abu yakub ibn yahya a tadili: At tachawouf ila rijal At tasawwuf. Texte publié avec une introduction. ed technique nords africaines: 1958-554 p.

3- راجع ما كتبه أحمد توفيق في مقدمة تحقيق كتاب التشوف ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط ط 2 سنة 1997

4- Bibliographie analytique M.Jedda: 272.

5- كولان جابريل من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية بباريس و عضو المجمع العلمي بدمشق له مؤلفات و مقالات غزيرة حول التاريخ و الأدب و التصوف راجع ترجمته في المستشرقون 291./1.

6- El Maqsad vie des saints du rif. Traduction annoté de G.S.Colin Paris. H.chmpion;1926 وقد نشر الكتاب بعد ذلك بتحقيق الباحث سعيد أعراب ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط 1982 م.

7- المستشرقون 197/1

8- كرول من المتخرجين من مدرسة اللغات الشرقية بباريس كان منتدبا في البعثة العلمية الفرنسية في طنجة ثم عين بعدها قنصلا فرنسيا له العديد من الآثار منها ترجمة كتاب الاستقصا و دوحة الناشر و نشر المثنائي المستشرقون 281/1

9- Appendice a la Daouhat en nachir: V.Graulle. Archives 197/1 والمستشرقون

10- Notice sur deux manuscrits, sur les cherifs de la zaouia de tamslouht: Ben cheneb; Revue africaine; année 1908.

سيدي محمد بن الحاج إبراهيم الزرهوني التسافتي تحت عنوان رحلة مرابط تسافت¹. كما ترجم قسما من كتاب الفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة لأبي زيد عبد الرحمان التمنارتي، ويتعلق هذا الجزء بتراجم الشيوخ على اعتبار أنهم من صلحاء الجنوب المغربي ومن متصوفة الأمازيغ، كما يقول عنهم في المقدمة "الذين غالبا ما يتم إهمالهم من قبل الكتاب و الدارسين"².

2. الكتابات حول الطوائف الدينية

هناك كتابات فرنسية كثيرة حول الطوائف الدينية المغربية على العموم ومن أهمها ما كتبه كزافيي كوبولاني xavier coppolani وأوكتاف دوبون O.Depont تحت عنوان الطوائف الدينية الإسلامية³، وما كتبه بول أودينو P.odinot حول الدور السياسي للطوائف الدينية و الزوايا بالمغرب⁴. وما ذكره جورج دراك G.Drague حول التاريخ الديني للمغرب⁵ حيث أحصى 19 طريقة متفرعة عن الشاذلية في المغرب العربي أشهرها الزروقية والجزولية⁶ وما كتبه ديستورنيل D'Estournnelles حول الجمعيات الدينية عند العرب⁷ وميير Meyer حول الجمعيات الإسلامية⁸ وميشو بلير في مقاله المهم في مجلة المحفوظات المغربية حول الطوائف الدينية بالمغرب⁹

¹-La rihla du marabout de tassaf: notes sur l'histoire de l'atlas. traduit et enotté par le colonel Justinard, paris Geutner 1940-214 p

²-Fawaid Al jamma bi isnadi ouloui Al oumma: Abouzid tamnarti; traduction colonel Justinard ed.charters -Durant 1953

³-Les confréries religieuses musulmanes O.Depont et Xavier coppolani, archives des sciences sociales des religions année: 1897 vol. 70

⁴-Rôle politique des confréries religieuses et des zaouïas au maroc Paul.Odinot, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'oran T51, 53 années tas 184- mars, 1930

⁵- Esquisse d'histoire religieuse du Maroc .Georges drague .Paris 1951

⁶- محمد بن سليمان الجزولي: حسن جلاب 17

⁷- Les sociétés religieuses chez les arabes .d'estounnelles .D.revue des deux mondes. Moi, 1886

⁸- Les associations musulmanes E.Meyer: annales de l'école libre des sciences politiques 15-04-1890

⁹- Les confréries religieuses au Maroc. Michaux bélaire .archives marocaines vol: 27-1923 p1-86

وكذا ما كتبه لويس فوانو Louis vainot بعنوان : "الطوائف والزوايا في المغرب"¹. وسبيلمان G.Spillman حول التاريخ الديني في المغرب² والجنرال أندري P.Andée تحت عنوان إسهام في دراسة الطوائف الدينية الإسلامية³ وكذا ما كتبه إدوارد مونتي E.Montet حول الطوائف الدينية في الإسلام المغربي⁴، ونختم مقال أدولف فور حول التصوف والمدرسة الزهدية المغربية من القرن 11 إلى القرن 13 المنشور في منوعات لويس ماسينيون⁵.

3. الكتابات حول الرباطات

حيث قاموا بوصفها معماريا وتحدثوا عن تاريخها الديني و التربوي ومن أهم دراساتهم في هذا المجال ما كتبه جورج مارسى G.Marcais تحت عنوان تعاليق حول الرباطات في بلاد الأمازيغ⁶ وهنري باسي H.basset مع هنري تراس H.Terasse تحت عنوان معابد وحصون موحدية⁷ وما كتبه روزانبرغ B.Rozenberger حول رباط كوز⁸ ودراسة لوسيان كولفين L.Golvin تحت عنوان تعاليق حول مصطلح رباط⁹.

¹- Confréries et zaouïas au Maroc. louis vainot .Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran 1936

²- Esquisse d'histoire religieuse au Maroc. G.spilleman paris 1950

³- Contribution a l'étude des confréries religieuses musulmanes .G.P.André Alger édition la maison des livres 1956

⁴- Les confréries religieuses de l'islam marocain .edward Montet revue de l'histoire des religions

⁵- Mélanges louis Massignon 1/1951-349/1 المستشرقون

⁶- Note sur les ribats en berberies G.Marcais .Melanges .R.Basset Paris leroux. 1925

⁷- Sanctuaires et forteresses almohades .H.basset et H.TerasseRevue hesperis 1927 Tome 7, 2 trim

⁸- Notes sur kouz un ancien port a l'embouchure de l'oued Tensift .B.Rosenberger, revue hesperis-Tomuda vol 9 1967 p23-66.

⁹- Notes sur le mot «ribat» Terme d'architecture et son interprétation en accident musulman .Lucien golvin .Revue de l'accident musulman et de la méditerranée année 1969 vol 6 p 95-101.

4. الكتابات حول الزاويا

وهي ترصد نشأة هذه الزوايا و تطورها و تؤرخ لأبرز رجالاتها وتأثيرها الاجتماعي والديني والسياسي وتذكر أسباب انحسارها وركود نشاطها ومن أهم الدراسات الفرنسية في هذا المجال ما كتبه جورج سالمون و مارسيل بودان M.Bodin عن الزاوية الناصرية بتامكروت نشأتها وأهم شيوخها وتأثيرها في الجنوب المغربي وفروعها وواقعها زمن الدراسة¹. وما كتبه غ هانري R.henry حول زاوية الدلاء² وكتابات سبيلمان³ ومورسي P.M.Morsy عن زاوية أحنصال وبلير عن زاويتي أحنصال وأمهاوش⁵ ودراسة كولان عن زاوية أنملي⁶ وكذا ما كتبه بلير عن توات و زاوية وزان الطيبية⁷. وما كتبه بول مارتي P.Martney عن الزاويا المغربية والمخزن⁸ وما كتبه بلير عن الزاوية الدرقاوية في طنجة⁹ وكذا ما كتبه لacroix عن درقاوة بالأمس واليوم.¹⁰

¹- La zaouïa de tamegrout M.Bodin archive berbères vol 3 1918 Fès 4 p 259-295.

²- R.Henry: ou se trouve la zaouïa de Dila ; Hesperis T31 année 1944 p49-54.

³- La zaouïa d'ahensal .lieutnant spilleman: les archives marocaines vol 27-1927.

⁴- Les ahensales examens du rôle historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain P.M.Morsy.Mouton Paris -la-bay 1972.

⁵- Notes Merinide sur les amhaouches et les ahensales; M.Belaire .archives marocaines vol 27 1917 p 208-218.

⁶- La zaouïa merim d'anemli a taza .G.S.Colin hesperis T90-1953 p 528-553

⁷- Le toutat et les chorafa de ouzzan M.Belaire .Memorial .H.basset P.Geutner 1928 vol 2-p 132-151

⁸- Les zaouïas marocaines et le makhzen . Paul .Martney .revue des etudes islamiques 1992 cahier 5

⁹- Les derquawa de tanger M.belaire. Revue du Monde musulman juin 1920.

¹⁰- Les derquawa d'hier et d'aujourd'hui. Alger -1920.

5. الكتابات حول الزوايا ذات الممارسات الغريبة

مثل الجنوح إلى تعذيب الجسد وإراقة الدماء وافتراس الحيوان وغيرها ومن ذلك ما كتبه هربر J.Herber عن حمادشة و الدغويين¹ وما كتبه برونيل عن هداوة² وعن عيساوة³.

6. الكتابات حول الصلحاء وشيوخ التصوف والمدن والقبائل المشهورة

بالصلاح

ومن أبرز ما كتب في هذا المجال دراسة إدموند دوتي E.Doutté حول الإسلام المغربي والصلحاء⁴ ودراسة باسكال دوران P.Durant عن بجعد المدينة الصالحة وصلحاء شرقاوة⁵ وما كتبه روبير منتاني R.Montagne عن صلحاء وشرفاء الريف و جبال⁶.

ومقالة جون شوميل J.Chaumel حول أيت عبد الله و سعيد القبيلة المرابطة أو الصالحة⁷، ومقالة جاك مونيه J.Meunier حول تقديس الصلحاء والطقوس الإحتفالية في درعة الوسطى وجهة تازارين⁸ وفي هذا المقال استنتاجات غريبة يزعم صاحبها أن تقديس الأولياء يجد أصوله في تقديس الأشجار والحجارة وعيون الماء، مما يؤكد لديه أن الإسلام قد اقتبس تقديس الأرواح والأشخاص من الطبيعة نفسها⁹.

¹- J.Herber: un fête a moulay idriss. Janvier 1916: les hmadcha et les dghoughiyyin: hesperis T3 1923 22trim p 217-236.

²- R.brunel: le monachisme dans l'islam: sidi hedi et les haddawa .paris larose; 1955 – p474

³- R.Brunnel: essai sur la confrérie religieuse des Aissawa au Maroc

⁴- Note sur l'islam maghrébin: marabouts .Edmund Doutté extrait de la revue de l'histoire des religions paris ernest leroux 1900.

⁵- Boujad ville sainte: les marabouts des cherquawa .A.F.renseignement coloniaux février 1930

⁶- Notes sur les marabouts et les chorafa du rif et des Jbala R.montagne .archives D.A.I.1926

⁷- Jean chaumel .histoire d'une tribu maraboutique de l'anti Atlas les ait Abdallah au Saïd .Hesperis T39-1952

⁸- Jacques Meunié .sur le culte des saints et les fêtes rituels dans le moyen Drâ et la région

⁹- Biblio .analytique M'hamed jadda: 369.

ومن أهم دراساتهم عن صلحاء المغرب المقالات التالية:

- مقال ليفي إيفاريست Levy Evariste عن مولاي بوشتي الخمار¹
- مقال الفرد بل A.Bel عن سيدي بومدين الدقاق الفاسي²
- مقال أندري شامبردو A.Chamabordou عن ابن بري صالح تازة³
- مقال لوبنيك Loubignac حول مولاي بوعزة التاغي الزياتي⁴
- مقال أمور بويو A.Bouillot حول سيدي العبد المظلوم بسلا⁵
- مقال أدولف A.Faure عن أبي العباس السبتي⁶
- مقال هانري دوكاستري H.De castries عن رجال مراكش السبعة⁷
- مقال بنشهنو A.benchenhou عن سيدي عبد الله مول الكارة⁸
- ما كتبه روبر مونتاني عن سيدي بورزكتون وسيدي وساي في عادات وأساطير الساحل الأمازيغي للمغرب⁹.

¹-Moulay bouchta El khamar un marabout marocain du 16eme siècle: Levy Evarist. Archives berbères vol 2: 1917 p: 260-269.

²-Sidi boumedyan ed Daqâq à Fès: note hagiographiques et épigraphiques: A.bel.melanges R.Besset .Paris larose T1 -1923 p 31-68.

³-Un grand marabout de Taza .ibn bari archive berbères vol2-1917 fas 2 p130-134

⁴-Un saint berbère: moulay bou azza histoire et légendes v.loubignac .hesperis T31 année 1944 p15-31.

⁵-Un saint musulman de salé sidi el abd el medloun A.Bouillot .Hesperis T2-1922 3^{ème} trim p337-338.

⁶- Abou l »abbas as sabti (524-601) la justice et la charité A.Faure .Hesperis T93 -1956 3 et 4^{ème} trim p448-456.

⁷- Les sept patrons de Marrakech H.De Castries .Hesperis T4 1924 3^{ème} trim p245-303

⁸- Sidi abdellah moul l'gara ou abdelah ben yassin C.benchenhou .Hesperis .T33-1946 3 et 4^{ème} trim p 406-413.

⁹- Coutumes et légendes de la côte berbères du Maroc R.Montagne Hesperis T4 1^{er} trim .1924 p101-116

- دراسات كل من جوستنار¹ وروكس² وإميل لاوست³ عن الولي الصالح أحمد بن موسى السملالي الجزولي
- دراسة جون لوي ميشون عن سيدي أحمد بن عجيبة⁴.

المبحث الثاني: لمحة عن أهم الكتابات الفرنسية حول الجزولي والجزولية

كثيرة هي الدراسات الفرنسية التي كتبت عن الجزولي والجزولية، وهي تختلف من حيث المضمون والمنهجية.

والملاحظ أن الجزولي والجزولية لم ينالا ما يستحقان من عناية لدى الدارسين الفرنسيين، فلم يخصصوا بدراسات منفردة كما فعلوا مع أقطاب التصوف الآخرين ومع بعض الزوايا والطرق مثل الناصرية وغيرها. وفي ما عدا دراسات ابن شنب في دائرة المعارف الإسلامية وترجمة كرول لمتع الأسماع فبقية الدراسات عبارة عن إشارات عابرة في سطور ضمن دراسات التصوف والطوائف المغربية لا تتعدى صفحة أو صفحتين إلى ثلاثة على الأكثر.

وهذا لا يرفع عن هذه الدراسات علميتها وعمقها وإحاطتها بأهم ما يمكن أن يعرفه القارئ عن حياة الجزولي وعن الخطوط العريضة للطريقة الجزولية. وفي ما يلي نورد بعض هذه الدراسات وقد اخترنا تسعة منها وهي كما يلي:

¹- Note d'histoire et de littérature berbères; revue hesperis 1928 3me et 4^{ème} trim p321-332
Voir aussi : poème chleuhs recueillis au souss: revue de Monde musulman second trimestre p63-107 même auteur.

²-Les aventures extraordinaires de sidi hmad ou moussa Patron de tazerwalt A.Roux hesperis tome 19 -1952 p75-96

³-Sidi hmad ou Moussa dans la caverne du cyclope. E laoust revue hesperis Tome 1- 1921 p91-92

⁴-Le soufi marocain Ahmed ibn Ajiba et son Miraj 1766-1809 glossaire de la mystique musulman jean Louis Michon lib. Philosophique .J.Vrin.Paris 1973

1. صلحاء وإخوان للويس ران: 1884¹.

جاءت هذه الدراسة في 352 صفحة وكاتبها لويس ران هو رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية في الحكومة العامة للجزائر وفي الوقت نفسه يشغل نائب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية.

تحدث في الفصل السابع عشر من هذه الدراسة حول سند الطريقة الشاذلية وذكر بأعلامها، ومسار انتقال التصوف من الأندلس إلى بلاد المغرب عن طريق أبي مدين شعيب الأندلسي كما ذكر بمن جاءوا بعده.

وفي المبحث الثالث من الفصل الثامن عشر² تحدث عن الجزولية وذكر بأنها الفرع المغربي للشاذلية، وذكر كذلك بسيرة سيدي امحمد بن سليمان ومضامين كتابه الذائع الصيت دلائل الخيرات كما ذكر ببعض الطرق والطوائف الجزائرية التي تتصل بالسند الجزولي مثل العيسوية والطيبية والحبيبية³.

2. المغرب الحديث لجول إركمان 1885⁴

أشار جول إركمان في هذه الدراسة إلى الزوايا والطوائف الدينية بالمغرب ما بين الصفحات 97 و 12، وقد قامت الأستاذة مليكة دلال بترجمتها في مجلة أمل: العدد 22-23 صفحات من 23 إلى 32.

وقد تناول فيها بالبحث والدراسة أهم موضوعات التصوف المغربي عبر مراحل التاريخ، وأشار إلى ابن سليمان الجزولي ضمن رجال مراكش السبعة. كما أشار إلى أهمية كتاب دلائل الخيرات الذي قال عنه بأنه كتاب صلوات⁵.

¹ - Marabouts et khouan: études sur l'islam en Algérie Louis Rin 1884

² - Marabouts et khouan: 269

³ - opt.cittée: 270

⁴ - le Maroc moderne: Jules Erkmene. Chalmal Aine 1885

3. الطوائف الدينية الإسلامية للكاتبان أوكتاف دوبون وكزافيي كوبولاني:

1897 م¹

هذا المقال له أهمية بالغة وقد اعتمد على منهجه والمعلومات الواردة عند كثير من الدارسين الفرنسيين والعرب الذين كتبوا حول موضوع التصوف في المغرب والجزائر.

وقد نشر الكتاب تحت إشراف جول كامنون الحاكم العام الفرنسي في الجزائر في دار النشر الشهيرة الميزونوف في باريس سنة 1897 م. وهو يتضمن العديد من الأحكام المسبقة والأقوال والأفكار الخاطئة عن الإسلام وتاريخه.

وقد تحدث الكاتبان عن الطوائف الدينية في الفصل العاشر من هذه الدراسة وأسهب في الحديث عن الطريقة الشاذلية نشأتها وأفكارها الرئيسية ومجالها الجغرافي وما تفرع عنها من طوائف مثل الطيبية والحنصالية والدرقاوية والجزولية والمدنية وغيرها².

كما خصا الجزولية بمبحث مهم وأشاروا بتفصيل إلى حياة مؤسسها أبي عبد الله الجزولي ومآل تعاليمه بعد وفاته³.

4. الطوائف الدينية للإسلام المغربي: إدوارد مونتي: 1902 م⁴

كتب إدوارد مونتي⁵ هذا المقال خلال فترة مقامه بالمغرب بين سنتي 1900 و 1901 حيث زار عدة أقاليم من طنجة إلى مراكش والأطلس الكبير ونقل مشاهداته

¹-Les confréries religieuses musulmanes: O. Depont et Xavier coppolani archives des sciences sociales des religions année 1887 vol. 70

²- opt. Cittée: 443

³- opt. Cittée: 457

⁴- Les confréries religieuses de l'islam marocain: leur rôle religieux, politique et social: E. Montet: revue de l'histoire des religions 1902 p: 1-35

⁵- إدوارد مونتي (1856 - 1327) ولد في مدينة ليون وهو من أصل سويسري و درس بالجامعات الألمانية وحاز الدكتوراه في باريس إنتدبته الحكومة الفرنسية في البعثة العلمية للمغرب، له العديد من الدراسات من أهمها ترجمته للقرآن الكريم ، راجع المستشرقون: 1/ 218 - 219

ومعايناته حول الممارسات الدينية في المغرب، وقد ذكر في هذه الدراسة أن أهم ما استوقفه أن المغربي يكون في غالب الأحيان منتميا إلى طائفة دينية وقدر عدد المنتمين للطوائف الدينية في المغرب بقرابة ثلاثة أرباع الشعب¹ وقال بأن الطوائف الدينية في المغرب كثيرة ومتنوعة وهي على درجة كبيرة من الأهمية والنفوذ². وفي كلامه عن أهم الطرق الدينية في المغرب أشار إلى الجزولية وقال بأنها في الطريق إلى الإندثار باعتبارها طريقة خاصة رغم أن تعاليم مؤسسها الجزولي لازالت تدرس بالقرويين ثم أورد نبذة عن الجزولي وأهم تعاليم طريقته³.

5. مقدمة تعريب دوحة النشر لكرول: 1913 م⁴

نشرت هذه الدراسة في المجلد التاسع من مجلة المحفوظات المغربية سنة 1913 م ضمن أعمال البعثة العلمية في المغرب وجاءت في 348 صفحة أورد فيها العديد من صلحاء المغرب وعندما لم يجد الجزولي في الكتاب ترجم له من خلال ما ورد في ممتع الأسماع وألحقه بالكتاب. وتعتبر هذه الدراسة أكبر ترجمة للجزولي في الكتابات الفرنسية حيث استغرقت حوالي 15 ورقة.

وقد قدم لهذه الترجمة بفرش حول التصوف المغربي وأصوله الأندلسية وذكر أهم الطرق والزوايا وتسلسلها وعلاقتها بالجزولي والشاذلي. وأهم ما ذكره حول الجزولي هو الإشارة إلى اسمه ونسبه وطلبه للعلم وتكوينه وشيوخه في التصوف ثم أشار على تلاميذه ومريديه وأبرز عقائده ومقولاته ثم تحدث

¹- Les confréries religieuses: 5

²- opt.cittée: 4

³- opt.cittée: 22

⁴- Le Dawhat An'Nachir d'ibn Askar. V. Graule: archives marocaines, mission scientifique du Maroc. vol.9 1913

عن طريقته وأقطابها وأنهى بحثه بالإشارة على وفاة الجزولي وما أعقبها من أحداث على يد أتباعه ومريديه¹ ثم مآل طريقته من بعده².

6. رجال مراكش السبعة لهنري دوكاستري³ 1924.

أورد هنري دوكاستري هذا المقال في المجلد 4 من مجلة هسبريس سنة 1924 في حوالي 40 صفحة.

وقد قسم بحثه إلى ثلاثة أقسام:

– الأول عن الصلحاء في الإسلام عامة.

– الثاني عن رجال رجراجة السبعة.

– الثالث عن رجال مراكش السبعة.

وفي هذا القسم الأخير تناول سير هؤلاء الرجال حيث أوردهم حسب تواريخ وفاتهم بدءا بالقاضي عياض فالسهيلي فيوسف بن علي فأبي العباس السبتي فسيدي امحمد بن سليمان فعبد العزيز التباع ثم الغزواني.

وهكذا أورد الجزولي في المرتبة الخامسة وخصه بثلاث صفحات كاملة (من ص 272 إلى ص 274) ذكر فيها أهم مراحل حياته وتدرجه في مجال التصوف.

وبعد أن أنهى سير هؤلاء الأعلام نجده يشير في مبحث آخر إلى مسار زياراتهم وفيه ذكر أن الجزولي يأتي في المرحلة الرابعة لدلى الزوار بعد زيارة كل من أبي يعقوب يوسف خارج باب أغمات والقاضي عياض في حي بوزكري بمقبرة باب أيلان وأبي العباس السبتي داخل باب الدباغ على الجانب الأيمن لواد ايسيل وبما أن ضريح أبي العباس السبتي يوجد في أقصى مسار الزوار شمال مراكش فإنهم

¹- opt.cittée: 286

²- opt.cittée: 290

³- Les sept patrons de Marrakech. H.Decastries: Revue Hesperis Tom 4 3eme Trim année 1924 p 245-305

يضطرون للنزول جنوبا إلى حي رياض العروس حيث قبة وضريح ومسجد سيدي امحمد بن سليمان الجزولي¹.

وفي الأخير نجده يختم هذا المقال بوصف دقيق لضريح ومسجد سيدي امحمد بن سليمان الجزولي وذكر أهم من دفن فيه من العلماء والأمرء².

7. الطوائف الدينية بالمغرب لميشو بلير 1927³

يعتبر هذا المقال من أهم التقارير التي أنتجتها البعثة العلمية الفرنسية بالمغرب، يقول ميشو بلير في مقدمته بأنه يتم بهذا العمل ما قام به كثير من الباحثين وذكر من بينهم الكومندون ران ودوبون وكوبولاني والكولونيل تراملي وكذا ما قام به في السودان المقدم الترجمان مارتني.

وقبل حديثه عن التصوف قام بلير بدراسة متأنية لتاريخ المغرب الاجتماعي والسياسي والديني ثم انتقل إلى الحديث عن تاريخ الزوايا والطرق والتصوف. وقد أشار إلى الطريقة الجزولية في المرحلة الرابعة باعتبارها فرعا من فروع الشاذلية وأورد للجزولي ترجمة حافلة ذكر فيها أهم تقلبات حياته بين العلم والتربية والجهاد وأشار إلى أثره في زوايا المغرب وطوائفه.

كما أشار إلى دور الطريقة الجزولية الديني والسياسي من خلال إسهامها في قيام الدولة السعدية ودورها العسكري الحاسم في انتصار معركة وادي المخازن وما تلاها من أحداث أخرى.

¹- opt.cittée: 291

²- opt.cittée: 292

³- Les confréries religieuses au Maroc. M.Bellaire archives marocaines Tome 27 année 1927

8. البرابر والمخزن في الجنوب المغربي لروبير مونتاني¹.

أشار روبير مونتاني² في الفصل الرابع من هذا الكتاب إلى إقليم سوس في القرن الخامس عشر وذكر في الفقرة الأولى بظهور التصوف بهذا الإقليم وفي الفقرة الثانية تناول رجال رجاجة بالحديث، وفي الثالثة ذكر الإمام الجزولي ومريديه في قرابة ثلاث صفحات كاملة.

وقد حاول من خلال عرضه هذا إبراز أهم الأحداث التي طبعت مسيرة الجزولي علميا وتربويا.

وأشار إلى أن تعاليم الجزولي أكثر شهرة و ذيوعا من تعاليم رجاجة وذكر بعض مراحل حياته وأشار إلى أبرز مريديه وأثره في جهاد البرتغاليين

وأهم ما تتميز به هذه الدراسة هو تثبت مونتاني من مطابقة بعض الأعلام الجغرافية المذكورة في سيرة الجزولي بالمصادر القديمة للأعلام الموجودة على أرض الواقع وذلك بفضل الأبحاث الميدانية التي أجراها مع دوسونيفال³.

9. مادة الجزولي في دائرة المعارف الإسلامية لابن شنب⁴

خص ابن شنب سيدي امحمد بن سليمان الجزولي بمادة مستقلة في دائرة المعارف الإسلامية في ثلاث صفحات تقريبا أورد فيها جملة من أخباره بدءا من اسمه و نسبه مروراً بانتقاله من سوس و طلبه للعلم بفاس ووصولاً إلى تلقيه للورد

¹- Les berbères et le makhzen dans le sud marocain. R.Montegne ed.afrique et orient 1986

²- روبير مونتاني (1893-1954م) مدير المعهد الفرنسي بدمشق والأستاذ في الكوليج دوفرانس له العديد من الدراسات المهمة عن المغرب نشر أغلبها في مجلة هسبريس المستشرقون 290/1

³- op.cittée:105-106

⁴- دائرة المعارف الإسلامية مادة الجزولي: 449-448-447/6

الشاذلي من آل أمغار في تيط و وسياحته في الأرض وختم بالإشارة إلى علمه وفقهه وثناء الناس عليه وذكر أهم مصنفاته وقدم نبذة عن الطريقة الجزولية وأهم تعاليمها¹.

المبحث الثالث: وفقات مع بعض آراء الكتاب الفرنسيين حول الجزولي والجزولية

لم تحل أية دراسة عن التصوف المغربي من قبل الكتاب الفرنسيين من الحديث عن الجزولي والجزولية بإسهاب وتفصيل أحيانا و باختصار و اقتضاب أحيانا أخرى، وكيفما كانت هذه الإشارات و الإحالات فإنها تظهر أن سيدي امحمد بن سليمان الجزولي يحتل مكانة بارزة في تاريخ التصوف المغربي كما أن آثاره العلمية لا تزال محل تقدير واهتمام وإقبال في الشرق والغرب.

والواضح أن اغلب الكتابات الفرنسية حول الجزولي والجزولية دراسات تاريخية وصفية لم تمتد إلى تحليل الظواهر والمقارنة والنقد إلا قليلا وقد وردت فيها أقوال تستحق التوقف والمناقشة و قضايا منهجية تحتاج إلى تسديد وتصويب سننبه عليها تباعا فيما يلي:

1- الخلفيات المؤطرة لرؤية الكتاب الفرنسيين للتصوف الإسلامي والمغربي

لقد كان الغرض الأساس لكثير من الباحثين الفرنسيين هو دراسة الظاهرة الصوفية و فهم مكوناتها في سياقاتها التاريخية و السياسية و الاجتماعية و التربوية و القيام بعمل استعلامي يفيد الإدارة الاستعمارية في تعاملها مع الطوائف الصوفية² فجاءت أغلب استنتاجاتهم مجانية للصواب بعيدة عن الموضوعية و سنورد بعض أقوالهم في هذا المجال دون أن نكلف أنفسنا عناء الرد نظرا لتهافت هذه الآراء و طلبا للاختصار.

¹ - نفسه 449

² - يؤكد على ذلك صراحة ميشو بلير عندما يقول بصريح اللفظ: " إن الاطلاع على شؤون الطوائف له أهمية بالغة في السياسة الأهلية 65, Les confréries religieuses: Belaire

أ- التصوف في مقابل متشابهات القرآن

ففي زعم بعض الكتابات ما دفع إلى ظهور التصوف والتشيع والمذاهب الفقهية الإسلامية هي التناقضات والمتشابهات الكثيرة الموجودة في القرآن الكريم وهذا ما فتح الباب على مصراعيه أمام تعدد التفسير وتنوع الشروح.

ب- التصوف في مقابل مثالية الإسلام

"خلف التصوف الإسلامي تخبئ ممارسات على درجة كبيرة من الأهمية لم ينجح الإسلام في الحد منها واستبدالها بمثاليته"¹ هذا ما يشير إليه إدوارد مونته في دراسته حول الطوائف الدينية².

ت- المتصوفة أعداء فرنسا إلى أن يثبت العكس

لقد هال أغلب هؤلاء الكتاب أن يكون ثلثا إفريقيا نهاية القرن 19 وبداية القرن العشرين إسلامية وأن يكون التقدم الإسلامي في الثلث الباقي عل قدم وساق³ وتيقنوا أن السبب في زحف الإسلام في القارة الإفريقية هو التصوف والمتصوفة عبر جولاتهم ومواعظهم وهذا ما يقوله دوبون وكوبولاني حرفيا: "إن التصوف كان سببا رئيسيا في انتشار الإسلام في إفريقيا الغربية، فقد قام أهل الطوائف رغم فقرهم وشظف عيشهم وأسمالهم البالية بالطواف في البوادي يعظون الناس بمواعظ قرآنية معادية للحضارة الفرنسية ولذلك فهم أعداء كل نظام قائم وينبغي أخذهم بعين الاعتبار"⁴.

ث- المتصوفة في الجهة المقابلة للداعين إلى عالمية الإسلام

يؤكد إدوارد مونته أن الطوائف الدينية لا تقول بعالمية الإسلام أو نظام الخلافة الإسلامية وهذه دعوة ضعيفة جدا في المغرب بالمقارنة مع المشرق بسبب كثرة

¹ - Les confréries religieuses, Depont et copllani :

² - Les confréries religieuses: M.Belaire, preface: 109

³ - Les confréries religieuses: Depont et cop: 14

⁴ - Option citée: 14

الطوائف الدينية فيه وقتتها في المشرق وكدليل على ذلك يؤكد على أن المغاربة لا يعترفون سوى بسلطان المغرب وليس للسلطان العثماني أية سلطة عليهم¹.

ج- التصوف مجال للصراع بين الصلحاء و الفقهاء

يدعي كثير من هؤلاء الكتاب بوجود نزاع وصراع بين المتصوفة و الفقهاء والتصوف في أصله في زعمهم ممارسات ابتدعها أقوام من أجل الفرار من حرفية وصرامة العلماء والفقهاء وهذا ما يؤكد عليه دويون وكوبولاني في قولهما: "اللفقهاء في الإسلام تفسيرات خاصة للقرآن و فتاوى صارمة وهذا ما دفع إلى بروز تيار آخر أكثر تحررا يعتبر جيب مقاومة لتشدد هؤلاء الفقهاء و يتمثل في بعض الجماعات السرية التي يمثلها الدراويش والطوائف الدينية التي أصلت نظرتها إلى المسلم والإسلام من خلال أدلة الدعوة إلى الاجتماع والوحدة والاشترار في كل شيء، وشيئا فشيئا تكاثرت هذه الجماعات وتفرعت إلى فرق و تنظيمات صغيرة وكلها تمتح من معين التصوف ومنه أبدعت مصطلحاتها وطقوسها الخاصة"². ويرد البعض عن هذا الصراع إلى تنازع مصلحة الفريقين فالفقهاء والعلماء يريدون الحفاظ على مناصبهم والصلحاء يدافعون عن قداستهم³.

ح- التصوف المغربي في مقابل حرفية السنة الإسلامية

ففي رأي بعض الكاتب ليست الممارسات الصوفية سوى محاولات لتجنب التطبيق الحرفي الذي تقرضه السنة التي حاول العلماء والحكام فرضها على الناس⁴ وهذا ما يؤكد عليه ميشو بلير بقوله: "إن تطبيق السنة الإسلامية هي الزعم الذي يدفع

¹- Les confréries religieuses: E.Montet: 4

²- Les confréries religieuses : Depont et cop.preface : 9

³- Option citée: 14

⁴- Les confréries religieuses: M.Belaine: 72

به منذ دخول الإسلام إلى المغرب من أجل تبرير كل النهب والسلب ... ورغم ذلك فهي لم تغير شيئا من أخلاق الأمازيغ ولا من مؤسساتهم أو عاداتهم أو طقوسهم¹.

خ- التصوف المغربي رد فعل من الأمازيغ على طريقة فرض الإسلام عليهم
بالغ الكتاب الفرنسيون في التأكيد على أن التصوف المغربي في عمومته ليس سوى تمظهرات وممارسات أمازيغية تعكس رفض الأمازيغ للإسلام السني كما تريد أن تفرضه الدول المتعاقبة على حكم للمغرب² وما قوى لديهم هذا الزعم أن كثيرا من متصوفة المغرب كانوا أمازيغ وعلى رأسهم سيدي امحمد بن سليمان الجزولي الذي أخذ بدوره عن أسرتين أمازيغيتين الأولى هي رجرجة و هم مصامدة وآل أمغار وهم من صنهاجة تيط³.

د- الصلحاء والشفاعة

أشار هانري دو كاستري في مقدمة مقاله حول رجال مراكش السبعة⁴ إلى دور الصلحاء في الأديان السماوية عامة وفي الإسلام على وجه الخصوص و قال بأنهم وسائط وشفعاء للخلق عند الله رغم أن الإسلام لا يقر بالشفاعة إلا لمحمد يوم القيامة ويضيف بأنه في بداية الإسلام كان يكفي المسلم الإيمان بالله و الرسول و لكن مع توالي الأزمان والأيام أصبح كغيره من الأديان مضطرا للاستجابة للحاجات الإنسانية إلى الوساطة والشفاع، وبالتالي قبول التدين بالصلاح و الصلحاء عن طريق الكرامة و البركة والزيارة ولا يخفى ما في هذا الكلام من بعد عن حقيقة الشفاعة في الإسلام وربطها بالمتعسف بالصلاح والصلحاء لعدم وجودها في جوهر الإسلام عقيدة وشرعية وإنما في ممارسات وطقوس خلفتها عصور الانحطاط.

¹- Option citée: 73

²- Option citée: 80

³- Option citée: 72

⁴- Les sept patrons de Marrakech: 245

2- المصادر المعتمدة في هذه الدراسات:

إن إشارتنا إلى العمل الاستعلامي الذي يغلف أغلب الدراسات الفرنسية أواخر القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من القرن العشرين لا يزيل عنها الصبغة العلمية نظرا لاعتماد أصحابها على مصادر مهمة لم تكن معروفة لدى الدارسين المغاربة والعرب بفعل ما نشره من كتب وما ترجموه من وثائق مهمة تتعلق بعيون تراث التصوف المغربي.

ومن أهم المصادر المغربية المعتمدة في هذه الدراسات كتاب ممتع الأسماع للمهدي الفاسي وكتاب دوحة الناشر لابن عسكر وكتب التاريخ مثل عبر ابن خلدون واستقصاء الناصري وغيرها¹.

إلى جانب المصادر الإسلامية و المغربية اعتمد هؤلاء الدارسون على الدراسات الإستشراقية السابقة مثل دراسات لويس ماسينون حول التصوف الإسلامي ودراسات دوزي وهنري كوربان وغيرهم ومع الأسف رددوا المقولات نفسها الموجودة فيها² وإلى جانب هذا و ذاك اعتمد بعض الكتاب الفرنسيون على التقارير التي يرفعها القناصل في المدن المغربية والتقارير الأوروبية التي يتم جمعها من الفصليات الموجودة في طنجة وغيرها وكذا المعلومات التي يفيد بها الأوربيون المقيمون في المغرب منذ وقت طويل³ والمعلومات التي تؤخذ من استجواب المغاربة في عين المكان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مع الاحتياط فيما يتعلق بالمعلومات المأخوذة من المنخرطين في الطوائف لأنهم يبالغون في مدح طوائفهم وشيوخها وممارساتها⁴.

¹- Les confréries religieuses: M.Belaire: 85

²- 2. option citée

³- Les confréries religieuses.E.Montet: 2

⁴- opt. Citée: 2

وبالإضافة إلى اعتماد المصادر و التقارير الإستخبارية عن حال الطوائف والتصوف نجد أغلب هؤلاء الكتاب ينزلون إلى الميدان ويقومون بجولات متعددة و يقيمون أعواما بالمغرب من أجل إجراء أبحاثهم للظاهرة الصوفية من داخلها يلتقون بأرباب التصوف ويحضرون حلقات الذكر وأحيانا يدعون الدخول إلى الإسلام والانخراط في إحدى الطوائف وهذا ما مكنهم من فهم كثير من التفاصيل والتحقيق في بعض القضايا من ذلك ما ذكره إدوارد مونته في قوله: "تمكنا بفضل الأبحاث التي أجرينا مع دوسونيفال في الشياظمة من التحقق من أن أفوغال هو حد الذرى على بعد 35 كلمتر من الصويرة¹. ويقول في مكان آخر يوجد حصن عمر السيف في قرية ملوكت بمتوكة على بعد 15 كلمتر إلى الجنوب الشرقي من بوابوظ في المكان المعروف باسم أكادير نجرف².

3- آراء الكتاب الفرنسيين حول الجزولي

لم تدع هذه الكتابات جزئية من حياة الجزولي إلا وأشارت إليها فقد تحدثوا عن عصره اجتماعيا وسياسيا و فكريا وأشاروا إلى نسبه وولادته وانتقاله من بلده إلى فاس و دراسته بها ثم انتقاله إلى دكالة ثم عبدة ثم استقراره ما بين الشياظمة وحاحة وأوردوا أهم آثاره و أقواله و أقوال أهل عصره ومن بعدهم فيه وأهم ما يوجب التوقف في هذه الكتابات ما يلي:

أ) نسب الجزولي

أورد الكتاب الفرنسيون نسب الجزولي وتناولوه بالتفصيل نقلا عن المصادر المغربية كالممتع وغيره³. غير أن بعضهم لم يفهم كيف ينسب إلى جده الثاني مباشرة⁴، فكرول يقول: "بعض المؤلفين لا يوردون بعض أجداده في سلسلة نسبه

¹ - Les berbères et le makhzen.E.Montet 105

² - opt. citée: 106

³ - Le Dawhat an-nachir.Graulle: 277

⁴ - Les sept patrons de Marrakech, H. Decastries: 233

ويقولون سيدي امحمد بن سليمان أو محمد بن سليمان بن أبي بكر بن سليمان أو محمد بن أبي بكر بن سليمان بإسقاط سليمان الأدنى¹ ويذهب ابن شنب بعيدا عندما يقول بعدم معرفة اسم أبيه وجده² مع أن سلسلة نسبه معروفة أوردتها المصادر المغربية و كذا بعض هذه الكتابات دون أدني تشكيك و معلوم أن كثيرا من العلماء و الأعلام ينسبون إلى بعض أجدادهم في طبقات عليا من النسب دون أن يعني ذلك طرح ما دون هذه الطبقة أو وجود مشاكل في السبب فتصبح هذه النسبة مثل اللقب كابن تيمية وابن حنبل وابن قتيبة وغيرهم.

وفي إطار المنحى الأمازيغي للتصوف المغربي الذي يركز عليه ميشو بلير نجده يستغرب كيف يكون سيدي امحمد بن سليمان شريف النسب يرتقي إلى جعفر أخ مولاي إدريس رغم أنه أمازيغي³.

(ب) ولادته

فبينما يقول بلير بأن هناك غموضا يلف تاريخ ولادته⁴ يؤكد هانري دوكاستري بعدم معرفة تاريخ ولادة الجزولي و يضيف بأنها يمكن أن تكون عل وجه التقريب أواخر القرن الثامن الهجري⁵ وليس هناك أي غموض حول ولادة الجزولي ولن يكون أول ولا آخر من تصمت المصادر عن ذكر تاريخ ولادته أو وفاته.

(ت) دراسته بفاس

انتقل الجزولي إلى فاس للدراسة و هو في ريعان شبابه وأغلب الدراسات الفرنسية أشارت إلى إقامته بفاس غير أن البعض شكك في وقت زيارته لفاس⁶ ومعلوم

¹ - le Dawhat an-nachir, Graulle: 277

² - جزولي: ابن شنب دائرة المعارف الإسلامية 447/6

³ - les confréries religieuses. Belaire: 70

⁴ - les sept patrons de Marrakech, H.Decastries

⁵ - Les confréries religieuses .Belaire .70

⁶ - Le dawhat: Graulle: 280

أن للجزولي زيارتان وإقامتان في فاس الأولى لطلب العلم والثانية بعد أوبته من المشرق وفيها ألف دلائل الخيرات¹.

لقاؤه بأحمد زروق

أشارت كثير من المصادر إلى لقاء الجزولي بفاس بأحمد زروق البرنوسي غير أن بعض الكتاب الفرنسيين ومنهم دوبون وكوبولاني² يشككون في هذا اللقاء دون دليل يذكر ومع ثبوت المعاصرة بينهما.

ث) تاريخ وفاة الجزولي

توقف كثيرا الكتاب الفرنسيين عند وفاة الجزولي وتدارسوا مجمل الآراء والأقوال الواردة ما بين 886 هـ أو 870 هـ أو 873 هـ أو 875 هـ وهي الآراء التي ذكرها الكتاب المغاربة مثل صاحب الممتع أو صاحب درة الحجال وغيرهما وبينما سرد بعض الكتاب الفرنسيين هذه الأقوال دون ترجيح³ نجد البعض الآخر يرجع سنة دون أخرى فدوكاستري وكروول يرجحان أن تكون وفاة الجزولي سنة 870 هـ اعتمادا على قول الشيخ أحمد بابا التمبكتي و الشيخ زروق⁴ ويخالفهما الرأي ميشو بلير اعتمادا على تاريخ إخراج الجزولي من أسفي حيث دعا على المدينة التي وقع احتلالها على يد البرتغال حوالي عام 1467 يقول بلير وهذا التاريخ مهم وهو يدل على أن الجزولي لم يميت سنة 870 هـ التي توافق سنة 1465م كما يظن ذلك بعض الكتاب⁵.

1- سيدي محمد بن سليمان الجزولي حسن جلاب معلمة المغرب 3011/9

2 - Les confréries religieuses: Depont et coppolani 455

3- دائرة المعارف الإسلامية 1/ابن نسب: مادة الجزولي: 448/6

4- les confréries religieuses: Decastries: 274 et le Dawhat :Graulle :285

5 - Les confréries religieuses: Belaire: 9

ج) سبب نقل جثمان الجزولي إلى مراكش

يرى ميشو بلير بأن أهمية الجزولي خلقت للسعديين عدة مخاوف حتى بعد وفاته خاصة وأنهم أصحاب زاوية و يعرفون فوائد استمالة الزوايا ويريدون الحصول على دعم أتباع الجزولية وإذا لم يتم لهم ذلك فإنهم سيفكرون في القضاء المبرم عليهم و يضيف قائلاً: "وكما عرف المرينيون كيف يفيدون من العثور على قبر مولاي إدريس بفاس.

ويجعلوا من عاصمة ملكهم أهم زاوية في المغرب، فالسلطان محمد الأعرج رأى أنه من الأفيد أن يحتفظ في عاصمة ملكه مراكش بقبر الشيخ سيدي امحمد بن سليمان الجزولي لأنه لو بقي في أفوغال فإن كثيرا من مريديه سيجعلون من هذا المكان محل جذب، فلذلك يحسن أن يكون تحت مراقبة المخزن السعدي، وبذريعة تكريم الشيخ وتطبيب خاطره قام السلطان محمد الشيخ السعدي بإعادة دفن جسده وأصبح يمثل في مراكش ما يمثله مولاي إدريس في فاس¹.

ويذهب دوكاستري نفس المذهب عندما يقول: "بأن السلطان محمد بن الشيخ السعدي أراد أن يحسم في أمر الزاوية الجزولية و يقربها من عاصمة ملكه حتى لا تصبح مطية للخارجين عن الطاعة و الباحثين عن الملك وحتى لا يثور بعض المتحمسين من جديد ويتكرر نموذج عمر المغيطي².

4- وقفات مع آرائهم حول الجزولية

اهتم الفرنسيون بالطريقة الجزولية اهتمامهم بالجزولي وعرفوا بها و بتاريخها وأهم أقطابها وأسانيدها وأورادها ومآل تعاليمها بعد وفاة الجزولي وخلال العصر الحاضر وفيما يلي بعض أهم القضايا التي أثاروها في هذا الجانب.

¹ - Les confréries religieuses: 100

² - Les sept patrons de Marrakech: 277

(أ) مبادئ الشاذلية

ذكر كل من دوبون وكوبولاني بأن الجزولية تتميز بروحانية صافية وأنها تعتمد عل فناء الخلق وعملهم في سبيل الله، وعلى كثرة الصلاة في كل وقت وفي كل مكان وعلى كل حال كل ذلك من أجل أن يحيى الإنسان في وحدة كاملة مع واجب الوجود¹.

ويقول ابن شنب بأن الجزولية فرع من الطريقة الشاذلية يردد أتباعها البسملة أربعة عشرة ألف مرة ودلائل الخيرات مرتين في اليوم ويتلون في الليل دلائل الخيرات مرة واحدة هي والربع الأخير من القرآن².

(ب) آثار الجزولي و دورها في نشر الجزولية

أشار كثير من الكتاب الفرنسيين إلى آثار الجزولي في التصرف مثل "حزب سبحان الدائم لا يزول" و"حزب الفلاح" و"دلائل الخيرات"³ وقالوا بأنها من أهم مصادر وأذكار التصوف ليس في شمال إفريقيا بل العالم الإسلامي كله فكتاب دلائل الخيرات أصبح كتاب الذكر والصلاة على النبي الأشهر في العالم الإسلامي وقد نسجت حوله العديد من الحكايات⁴.

(ت) مريدو الجزولية

اهتمت الكتابات الفرنسية بأتباع الجزولي في حياته وبعد موته حيث أشارت إلى أنهم في حياته كانوا يعدون بالآلاف في كل القبائل المغربية شمالا في بلاد جباله وفي سلا ومكناس وفي تلمسان وتادلة وفي الجنوب خاصة و ذكروا من أهم زوايا

¹ - Les confréries religieuses: Depont et coppolani: 443

² - دائرة المعارف الإسلامية مادة الجزولية ابن شنب: 448/6

³ - دائرة المعارف الإسلامية مادة الجزولية ابن شنب 449/6

⁴ - Decastries: h: 273

الطريقة الجزولية في سوس وبلاد القبلة زاوية أبي رمان بهوارة وزاوية ماسة وزاوية أفة وغيرها¹.

ويقول كرول بأن أتباع الجزولي كانوا من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاؤهم وقد أخذوا عنه تعاليم الجزولية وكتاب دلائل الخيرات وارتوتوا من معينه كل حسب اجتهاده وقربه من الشيخ، وانتشروا في بقاع الأرض مشتغلين بتكوين المريدين ونشر تعليم شيخهم وبفضلهم وصلت الطريقة الجزولية إلى آفاق الأرض².

وتوقف مونتاني عند بعض أقطاب الطريقة الجزولية بعد موت الجزولي وأشار إلى إسهامهم في نشر الطريقة بسوس خاصة والمغرب عامة ومن أبرزهم سيدي محمد بن مبارك الهلالي حليف رجاجة الذي كانت له مكانة مرموقة عند قبائل كزولة وبعده بعدة سنوات ظهر مريدان للشيخ التابع وقاما بتأسيس زاويتين قويتين الأول هو سيدي أحمد بن موسى الجزولي الذي رجع إلى بلده تازروالت بعد أن قام بالعديد من الرحلات العجيبة والمدهشة والثاني هو سيدي سعيد أعبد النعيم الذي أقام عند الحاحيين في مركز مشهور بعلمائه وفقهائه بأيت داود في قبيلة إدابوزيا³.

ث) الدور السياسي للجزولية

من أهم القضايا التي توقفت عندها أغلب الكتابات الفرنسية حول الجزولي والجزولية ما قامت به هذه الطريقة من أدوار دينية وسياسية معا وهذا واضح كما تقول هذه الدراسات من خلال إسهامها في قيام دولة الشرفاء السعديين في الجنوب وفي كل المغرب من خلال اهتمامها بالشرف والشرفاء. كما ظهر دورها السياسي والديني من خلال جهودها العسكرية و الدينية في معركة وادي المخازن وما تلاها

¹- Les berbères et le makhzen: Montagne: 106

²- Le Dawhat: Graull: 278

³- Les berbères et le makhzen: 107

من أحداث وعملها على فرض الطقوس التي تقام على مشهد مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم بقبيلة بني عروس.

يقول ميشو بلير: "كانت مواعظ الجزولي وصلواته تستنهض الهمم وترفع معنويات المغاربة في الجهاد وتوقظ فيهم الشعور الديني بفعل الصلوات الموجودة في دلائل الخيرات والمحبة التي توجبها للرسول صلى الله عليه وسلم ولآل بيته وذريته كما ساهم شيوخ الجزولية في معركة وادي المخازن وكان دورهم حاسما في النصر و على رأسهم امحمد بن علي بن رسيون وأضرابه وكذا إسهامهم في إعلان أحمد المنصور سلطانا على المغاربة¹.

وهذا ما أكد عليه مونطاني عندما أشار إلى دعوة الجزولي ودوره الجهادي في مقاومة المحتل البرتغالي حيث عرف نجاحا كبيرا في نشاطه هذا². كما ذكر بدور أتباعه من بعده في هذا المسار يقول "لكن بقية المريدين الذين كانوا أقل حماسة تمكنوا من اقتطاف الإرث الديني للإمام الجزولي خلال الأعوام الأولى للقرن السادس عشر. وهكذا ظهر العديد من الصلحاء الداعيين إلى الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين في كل من أنفا و تانسيفت وأكادير و معهم المشايخون لهم من عرب السهول الجنوبية، ومن أبرزهم أبو عبد الله محمد الصغير العمري وأصله من قبيلة عربية في سوس وقبره يوجد في مراكش ثم أبو محمد عمر أجانا المدفون في سهل سوس في تاجملت وهناك مجاهد آخر مات في ساحة الشرف وهو يجاهد ضد النصاري أو حلفائهم العرب وهو عبد المالك السباعي الذي أصيب إصابة بالغة ومات في تيزي معاشو ودفن في غابة الهرجان بين دمسيرة وإداومحمود³.

¹- Les confréries religieuses. Bellaire: 63

²- Les berbères et le makhzen: R.Montagne:106

³- Opt. Citteé : 106

ج) وضعية الجزولية اليوم

يعترف الكتاب الفرنسيون بأن تعاليم الشيخ الجزولي تدرس من قبل العلماء المغاربة وتشكل مدرسة تربوية وفلسفية وأتباعه يشكلون طائفة ذات مبادئ وممارسات وطقوس خاصة ويرى بعضهم بأن تأثير الجزولية كان كبيرا في الماضي أما اليوم فهو ضعيف جدا وذلك بسبب كثرة الطوائف وانقسامها وشدة التنافس الموجود بينها¹.

خاتمة

تعتبر ظاهرة التصوف ظاهرة فريدة في مسار الفكر الإسلامي، وذلك لتداخل العناصر المكونة لها ولتأثرها إيجابا وسلبا بعدة عوامل بعضها ديني صرف وبعضها يختلط فيه ما هو ديني بما هو سياسي وما هو اجتماعي وثقافي...

والحركة الصوفية في المغرب لها خصائص و ميزات عن مثيلاتها في المشرق إذا لم تكن بمعزل عن الحركة العلمية والدينية والسياسية التي عرفها المغرب خلال مراحل تاريخه الطويلة.

ومن مظاهر فرادة التصوف المغربي تغلغله في المجتمع ولامسته لكل الطبقات وهو ما جعل كثيرا من المغاربة يعتبرون التصوف من ضرورات الدين بالإضافة إلى أن أغلب الطوائف الصوفية الإسلامية في شمال إفريقيا يوجد مركزها في المغرب أكثر من ذلك وجدنا التصوف المغربي يتجاوز الزمان والمكان المغربيين ويستقطب المحبين والمعجبين والقراء والشراح والحفاظ والوعاظ في بقاع العالم بفضل دقته وشموليته وفراسته. وهذا ما أثار كثيرا من الكتاب الأجانب وعلى الخصوص الفرنسيين الذين أولوه اهتماما بالغا في دراساتهم.

¹- Les confréries religieuses: E.Montet: 2

إن مجال الدراسة في التصوف المغربي على كثرة ما كتب حوله لازال خصباً وغنياً ولازال بحاجة إلى دراسات وكتابات أخرى تميظ اللثام عن الأدوار التي لعبها في تاريخ المغرب وتعرف بأقطابه وتراثهم وأفكارهم وتعاليمهم.

وليس غريباً أن يولي الكتاب الفرنسيون اهتمامهم للجزولي والجزولية، فالجزولي شخصية بارزة في تاريخ التصوف المغربي لا يمكن القفز عليها بحال إذ بصم بفكره ومؤلفاته كل الزوايا والطوائف بالمغرب بل أصبحت الشاذلية بعده تسمى بالجزولية فهو الذي جدد لها وأمدّها بأسباب التطور والقبول عند الناس.

إن الجزولي حسب هذه الدراسات لم ينل درجة القطبانية بشرف نسبه ولكن بمجاهدته و مصابريته وتربيته لأجيال من المريدين قاموا بإحياء الطريقة بعد وفاته، حتى غدت كل الطوائف والطرق في المغرب تمتح وتعتمد في أروادها على آثاره وتعاليمه.

لقد كانت هذه الكتابات الفرنسية حول الجزولي والجزولية مستخبرة، مستجمعة للمصادر مطلعة على الدراسات السابقة حول الموضوع ورغم نفسها الاستعماري الواضح ورغم مرور عقود كثيرة على كتاباتها فإننا نجد صداها في كثير من الدراسات المعاصرة المهمة بالتصوف المغربي بل أحيانا نجد نقلاً حرفياً لكثير من مقاطعها وفقراتها في الدراسات المتأخرة رغم اختلاف السياق الذي كتبت فيه عن السياق السياسي والحضاري والاجتماعي الذي يعرفه المغرب اليوم...

هذا آخر ما يسر الله كتابته عن عجل وكثرة مشاغل أسأله سبحانه أن يلهمنا السداد في القول والعمل وأن يسلك بنا سبيل الرشاد آمين والحمد لله رب العالمين*.

المصادر والمراجع

- درة الحجال في أسماء غرة الرجال: أحمد بن محمد القاضي المكناسي تحقيق محمد الأحمد أبو النور، المكتبة العتيقة تونس/دار التراث القاهرة 1972.

- دلائل الخيرات و شوارق الأنوار امحمد بن سليمان الجزولي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1994.
- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لابن عسكر الشفشاوني تحقيق الدكتور محمد حجي مراجعة و ترقيم و فهارس عبد المجيد خيالي منشورات مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء 2003
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الإفرائي تحقيق عبد المجيد خيالي نشر مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء 2004م.
- طبقات الحضيكي، محمد بن أحمد الحضيكي تحقيق أحمد بومزكو مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2006م.
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج أحمد بابا التمكنتي دراسة وتحقيق محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف الرباط 2000م.
- المعسول محمد المختار السوسي مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 1960-1963م.
- برآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن محمد العربي الفاسي تحقيق حمزة بن علي الكتاني مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2003.

مصادر ومراجع باللغة الفرنسية

- Archives marocaines, Decastries.Honoré champion éditeur 1993 paris.
- Esquisse d'histoire religieuse du Maroc .G.Drague spillman J.Peyronet paris Juin: 1951.
- Les sept patrons de Marrakech Descastries: Hesperis 1924 T4 3 Trim p: 245-303.
- Les confreries religieuses musulmanes: O.Depons et Coppolani Alger 1887.

- Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc: R.Montagne éditions Afrique orient Casablanca 1989.
- Rôle politique des confréries religieuses et des zaouïas au Maroc bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran T51 année 1930 p.37-71.
- Des moyens de développer l'influence française au Maroc E.Doutté imp.F.levé Paris 1900.
- Bibliographie analytique .M.Jadda publication de la F.L.S.H rabat 1994.
- Les confréries religieuses aux Maroc M.Belaire archives marocaines vol 27-1923.
- Confréries et zaouïas au Maroc Louis Voinot .bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran 1936.
- Les confréries religieuses de l'islam marocain .E.Montet revue de l'histoire des religions 1902 p: -35.